مواطن الشعوب الإسلامية
في آسيا
١٠

جزر المالديف



محمود شاكر

المكتب الإسلامي



مواطن الشعوب الاسلامية
في آسيا
١٠

جزر المالديف

محمود شاكر

المكتب الاسلامي

جَميع الحقوق محفوظة

الطبعة السابعة
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

المكتب الإسلامي
بيروت : ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيا : إسلاميا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين وبعد:

فإن أجزاء كثيرةً من العالم الإسلامي لا تزال بعيدةً عن أقلام الكتّاب وعن أسماع المسلمين في بقيّة المناطق، مجهولةً عن الذين يطلبون المعرفة، وإن ذلك لأمر غير عاديٍ ألّا يعرف المسلمون إخوانهم وهم أُمّة واحدة، وألّا يسمعوا باسم بعض بلدانهم وهم من دارٍ واحدةٍ، وفي هذا زيادة في تشتّتهم، وإمعان في تفرّقهم، وأحرى ألّا يعرف بعضهم بعضاً، ولا ينصر شعب منهم أخاه ولا ينتصر لقضيته. وقد يكون هذا البعد لأسباب عديدة منها:

١ً - اتساع العالم الإسلامي حيث يمتدّ على رقعةٍ واسعةٍ من الأرض في العالم القديم، ويحتلّ مساحاتٍ كبيرةً في كل من آسيا وإفريقية، وعلى نطاقٍ محدودٍ في قارة أوروبا.

٢ً - مرحلة الجهل التي مرّ بها العالم الاسلامي، ولا يزال يُعاني منها أهله الشيء الكثير، وذلك عندما توالت عليهم النكبات وانتهت بسيطرة الأجنبي على بلادهم، وأصبحت مقدراتهم بيد أعدائهم.

٣ً ـ التقوقع ضمن أُطرٍ من العصبيات القومية دخلت هذا العالم أثناء تجزئته، وأُجّجت تحت تأثيراتٍ غريبةٍ أيضاً لتنفيذ مُخطّطات من ورائها مصالح أجنبية وتهديم كيان الأمة الإسلامية.

٤ً ـ قلّة أهمية بعض هذه المناطق، ففي هذه الأيام تدور الأحاديث وتتناقل الأخبار عن المناطق ذات الأهمية الاقتصادية، والبلاد ذات المركز الدولي، والمواقع ذات الأثر المهم.

٥ً ـ لا تزال بعض هذه المناطق تخضع لنفوذ دولٍ استعماريةٍ كبيرة المساحة، فتضيع أهميتها أثناء دراسة هذه الدول العظمى والبحث عنها فتبقى البلاد الاسلامية مجهولةً.

٦ً ـ لا تزال دراسة المسلمين وأبحاثهم تستند بالدرجة الأولى على الكتب الأجنبية ذات الأغراض، والتي لا تهتم إلا بدراسة الأمصار ذات الامكانات، إضافة إلى أن هذه الدراسات عن البلاد الإسلامية لا تزال قليلةً، وهي إن وجدت فهي تُركّز على الناحية الجغرافية دون الاهتمام بالحياة الاجتماعية، والقضية الإسلامية، والمشكلات التي يُعانيها السكان. وإذا درست الناحية الاجتماعية فهي تُركّز على الخلافات القائمة، والفرق المختلفة، وتُحاول بأسلوبٍ مُعينٍ بثّ روح التفرقة وزيادة الاختلافات.

وقد صدرت عدة كتب تبحث عن العالم الاسلامي، وتدرس أمصاره، ولكنها من وجهة نظرٍ خاصةٍ أو أنها كتب جغرافية بحتة،

وما حملت هذا العنوان إلا لأن الكتاب الاسلامي أصبح يحتلّ مكانةً في المكتبة العامة، وقرّاءه يفوقون قرّاء أي كتابٍ آخر عدا القصص. وليس لهذه الكتب من ميزةٍ سوى أنها جمعت أمصار هذا العالم ضمن كتابٍ واحدٍ دليلاً على وحدة الفكر فيه والهدف، وضرورة لقاء هذه البلاد واجتماعها في اتحادٍ عامٍ، وهذا أمر طيب، وميزة جيدة.

أما وقد استقلّت أكثرية أمصار العالم الإسلامي، وخرج الأجنبي الدخيل منها، وظهرت يقظة إسلامية تحدّت العصبية القومية وتقوقعها، ووقفت في وجهها موقفاً قوياً وأنزلتها من مكانها الذي كانت تحتلّه، وعرّت أهداف تلك العصبية ومُروّجيها، وتوضّحت أسباب الدعوة إليها، وانكشف أمر الذين كانوا من ورائها. وأوّل دعاتها. ولم يعد ما يبرر بقاء العزلة في بعض الأجزاء والجهل ببعض مناطق إخواننا المسلمين.

وعلينا الآن أن نُوجّه اهتمامنا إلى التعريف بأجزاء العالم الإسلامي، وعوامل اللقاء بين هذه الأجزاء، والنفاذ إلى ضرورة قيام اتحادٍ بين هذه الأمصار المتفكّكة والأقطار المتباعدة، وخاصة في هذا الوقت الذي نحن فيه بأشدّ الحاجة إلى الدعم المعنوي والتأييد الدولي، وليكون لهذا الاتحاد شأواً كبيراً ومركزاً عالمياً بين الدول. إضافةً إلى الاهتمام بالقضية التي تحمل الهدف نفسه ويجتمع عليها المسلمون.

إن من هـذه الأجزاء التي تكـاد تكون مجهـولـةً عـلى المسلمـين، وبحاجةٍ إلى أن يعرفوا شيئاً عنها هي جـزر المالـديف التي رأيت أن أفرد لها بحثاً خاصـاً في هذه السلسلة، رغم صغـر مساحتهـا، وقلّة سكانها وضآلة مركزها، لعلّ في ذلك فائدة تُرجى.

والله نسأل التوفيق وسداد الخطا، وأن يُلهمنـا الصواب، ويُجنّبنـا العثرات، وأن يتقبّل أعمالنا التي نرجو أن تكون خالصـة له، وآخـر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمود شاكر

- ١ -

انتشار الإسلام في المالديف

ما أن ظهر الإسلام وانتشر، وقامت الفتوحات، وتحرّكت الجيوش، وانطلق الدعاة، وسار التجار في كل اتجاهٍ، ويمّموا وجوههم كل صوبٍ، يتخذون من التجارة وسيلةً للدعوة، حتى كان المحيط الهندي بحيرةً إسلاميةً، ولم تمض غير مدةٍ يسيرةٍ على ظهور الإسلام. وكانت السفن تمخر عباب هذا المحيط ولا مُزعج لها، وتسير من مرفأ إلى آخر ولا سلطة لغير المسلمين عليها. وما من باخرة تنطلق في مياهه إلا ويرتفع صوت «الله أكبر» فوق ظهرها، وما من سفينة إلا وتُقام الصلاة على متنها، وعلى كل جنباته وشطآنه ترتفع المنارات يصدح منها صوت المؤذنين، ويظهر نورها من بعيد يُشير إلى رسوخ الإسلام في تلك الجهات. وكانت الجزر في ذلك المحيط قواعد لسفنهم، ونهاية أشباه الجزر مراكز لبواخرهم، والمضائق كلها بأيديهم، والممّرات البحرية تحت إشرافهم، وكلما كانت المنطقة أكثر أهميةً في موقعها كانت مركزاً لانتشار الإسلام، وكلما كانت أكثر امتداداً في ذلك اليمِّ كانت مقرّاً لارتياد التجار

المسلمين، ومحطّاتٍ لقوافلهم، فجزيرة سومطرة، وسيلان، وشبه جزيرة مالاقا، والهند، وجزر المالديف، وجزر المحيط كلها كانت مراكز إسلاميةً ومحطاتٍ لسفن المسلمين، وبالتالي لانتشار الإسلام وإشعاع النور منها.

* * *

ـ ٢ ـ

الموقع الجغرافي والتضاريس

في البحار المدارية حيث المياه الحـارة التي تتجاوز حـرارتها ٢٠°، وفي غربي المحيطات حيث تتوفّر هذه المياه وحيث لا يوجد أثر للمياه الباردة وتياراتها، وعلى القـاعدة السـاحلية أو عـلى الأعماق المـرتفعة وسط المحيـطات تنمو الحيـاة العضويـة نمّواً قـوياً، ومن أنـواع هذه الحياة: الحيوانـات المرجـانية التي تقـوم بتشكيل تضـاريس مغمورةٍ بالماء تظهر تدريجياً فوقه، مؤلفةٍ جزراً تُعرف باسم الجزر المرجـانية. ويكون في وسطها بحيرة مالحة. ويُـطلق على هـذا النوع من الجـزر اسم «آتـول». كما أن هنـاك الأرصفـة الحـاجـزة والـلاصقة قـرب السـواحل. ولتشكيـل هذه الجـزر يشترط صفـاء الماء ونقـاؤه، فـإن وجـود طمي يعكـر مـاء البحـر عـلى الشـواطىء يحـول دون نشـوء المرجان.

وفي جميع الحالات لهـذه الجزر فـإن سطحهـا لا يتجاوز مستـوى البحر إلا قليلاً، وتُؤلّف هذه الجزر قاعدةً ضيقةً يتراوح عرضها بين ١٠٠ ـ ١٠٠٠ م. وتنحـدر هذه القـاعدة بميـلٍ خفيفٍ نسبيـاً نحـو

الداخل أي نحو البحيرة المالحة، بينما يميل السفح المقابل والذي يكون نحو عرض البحر بانحدارٍ شديدٍ، لأن نمو الحيوانات المرجانية يكون بصورة أكبر على الأطراف حيث المياه المضطربة، لأن المرجان يعمل على ترميم الرصيف الذي تُهاجمه الأمواج باستمرارٍ، كما أن المياه المحيطية تحمل غذاءً أكبر من المياه الهادئة في الداخل، بينما يكون الوسط هادئاً، والغذاء قليلاً، والعمل بطيئاً، مما يجعل نمو هذه الحيوانات المرجانية ضعيفاً، وأخيراً يموت هذا القسم، ويتحلّل الكلس وتنشأ البحيرة المالحة، ويُغطّى قاعها بالوحل أو بالرمال الكلسية، ثم لا يلبث أن يتكسّر قسم من جدار البحيرة وتتصل مع مياه البحر مباشرةً عن طريق قناة، وتكون دوماً قليلة العمق.

وتكون هذه الجزر كثيرة الاختلافات في تضاريسها حتى يصعب السير عليها لكثرة النتوءات والحفر التي تعتري سطحها، ولا سيما لوجود حفرٍ عميقةٍ فيها آبار حقيقية ولوجود أخاديد أيضاً، تكون مسدودةً غالباً برمالٍ كلسيةٍ. وعلى الطرف الخارجي للجزيرة أخدود مغمور بالماء، وقسم من المرجانيات يكون أكثر أقسام الرصيف حياةً وتنمو فيه أجزاء جديدة من المرجان ويعرف باسم الحاجب.

* * *

في جنوب غربي الهند ووسط المحيط الهندي تمتدّ عتبة بحرية تصل حتى أقصى الجنوب عند خط عرض ٦٠° جنوباً في المحيط

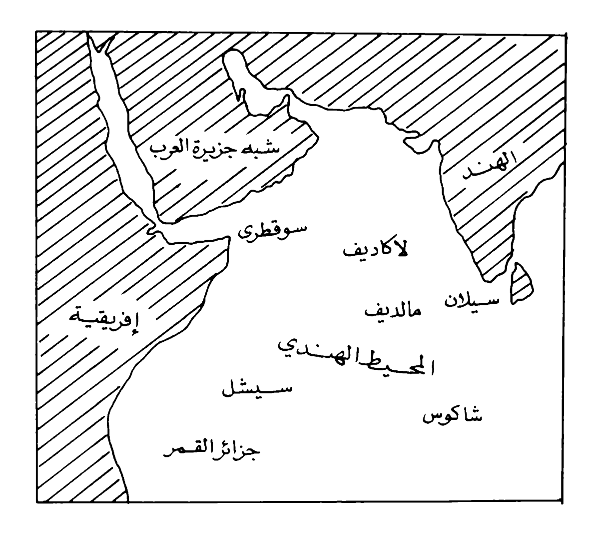
المتجمد الجنوبي، وتقسم هذه العتبة المحيط الهندي إلى قسمين كما تتشعب منها شعب في الجزء الغربي من هذا المحيط في القسم الشمالي منه. وعلى هذه العتبة وتشعباتها تقوم أكثر جزر المحيط الهندي. ومن هذه الجزر «المالديف».

* * *

إلى الجنوب الغربي من الهند، وعلى مسافة ٤٨٠ كيلومتراً، أو على مسافة ٦٤٠ كيلومتراً من جزيرة سيلان تمتد جزر كثيرة تعرف بجزر المالديف[1]، ويزيد عددها على ألفي جزيرة، تتوالى بشكل طولاني، يمرّ من جنوبها خط الاستواء، وتتجاوز خط العرض ٧° شمالاً، وتكاد تصل بين جزر «لاكاديف» التي تقع غرب الهند شمالاً وبين جزر «شاكوس» جنوباً ووسط المحيط الهندي.

نمت الحيوانات المرجانية على العتبة البحرية، وتكاثرت، فكوّنت هذه المجموعة من الجزر، ولا يزال بعضها في مرحلة التكوين، وتزداد مساحتها باستمرار، بينما تغمر المياه بعضها الآخر بالتدريج. بعضها مجرد جسور صغيرة تكاد تغطيها المياه، وبعضها جزر حقيقية يسكنها الناس، ويحتوي كثير من هذه الجزر على بحيراتٍ ساحليةٍ عذبة المياه. ومجموعها ذات مساحةٍ صغيرةٍ لا تزيد على ٢٩٨

(١) مالديف: اصطلاح مشتق من كلمتين «محل» أي مكان، و «ديفا» ويقصد بها جزيرة. وفي كتب التراث تكتب «محل ديب» ويكتبها أهلها موصولة، ونقلها الأجانب إلى (Maldives).


شبه جزيرة العرب
الهند
سوقطرى
لاكاديف
سيلان
إفريقية
مالديف
المحيط الهندي
سيشل
شاكوس
جزائر القمر

كيلومتراً مربعاً، وهي تعادل $\frac{١}{٣٤}$ من مساحة لبنان، يُقيم البشر على ٢٢٠ جزيرة منها فقط، بينما يُعدّ الباقي خالياً من السكان. ويزيد أهلها على ١٥٠ ألف نسمة، فتكون الكثافة العامة ٣٥٠ شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد، وهي كثافة كبيرة يمكن مقارنتها مع الكثافة في منطقة آسيا الموسمية، بل تُعدّ هذه الجزر جزءاً منها، ويزيد السكان في كل عام الفين وثلاثمائة شخص.

* * *

- ٣ -

أهم الجزر

تُكوّن هذه الجـزر مجموعـات بعضها مـع بعض، أشهرهـا: اثنتا عشرة مجموعة: منها «تيلا دوماتي آتول» و «ايهـافان دي فـول آتول» وهمـا في الشمال، و «مـالي» و «آري» و «مولاكـو» و «هـادومـاتي» في الوسط و «سوفاديفا» و «أدو» في الجنوب، وإن كلمة «آتول» ومعناها الجـزيـرة المـرجـانيـة قـد أصبحت كلمـة دوليـة، وهي من أصـل مالديفي. وفي وسط هذه الجزر، وعـلى جزيـرة مالي تقـع العاصمـة التي تحمـل اسم الجزيـرة مالي، ويـزيد سكـانها اليـوم عـلى عشرين ألفاً.

ـ ٤ ـ

المناخ والحياة الاقتصادية

ومُناخ هذه الجزر استوائي رطب، ويبلغ متوسط درجة الحرارة نحو ٢٧° درجة مئوية، ويستمرّ هذا طيلة العام، ويكون المدى الحراري ضئيلاً لا يتجاوز الدرجتين، وتهبّ على البلاد الرياح الموسمية الشمالية الشرقية في فصل الشتاء، وعندها يكون الجو لطيفاً، والنسمات منعشةً، إذ أن هذه الرياح تكون من أصل قاري، ومن مناطق باردةٍ نسبياً، وعندما تصل إلى البحر تحمل بخار الماء، ولم تلبث أن تصل إلى هذه الجزر ولا تزال فيها آثار من المكان الذي هبت منه لذا تكون مُنعشةً. كما تتعرض للرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تكون قد قطعت مسافةً طويلةً فوق البحر في القسم الجنوبي من المحيط الهندي، ويكون اتجاهها من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي، فعندما تصل إلى خط الاستواء تغير اتجاهها ويصبح من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، وعندما تصل إلى الجزر تكون محملةً ببخار الماء مما يجعل المطر غزيراً، كما أنها تتصف بالعنف. وتتعرّض الجزر الشمالية للعواصف الشديدة أكثر مما تتعرّض له الجزر الجنوبية.

ونتيجة تحلّل الكلس الذي يتكوّن منه المرجان الذي يُشكّل أرض الجزر تتكون تربة يمكن نمو الأشجار عليها، ونتيجة هذا المناخ الاستوائي الرطب طيلة العالم فإن غطاءً كثيفاً من الشجيرات الصغيرة يُغطّي هذه الجزر. وبشكلٍ عامٍ فالجزر الوسطى أقلّ خصوبة من الجزر الشمالية والجنوبية، والشرقية منها أكثر خصباً من الغربية، وهذا يعود إلى تحلّل الكلس. وتنمو في الجزر بوفرةٍ كل من أشجار الموز، والمانغو، وجوز الهند، والنخيل الزيتي. كما نجحت فيها زراعة الذرة الشامية، والرفيعة، والأناناس، وقصب السكر، والبطاطا. ولا يوجد فيها غابة بالمعنى المألوف.

ويستفاد من خشب جوز الهند في بناء القوارب وإقامة المنازل، ولما كانت المراكب الكبيرة والقوارب الكثيرة التي يحتاج إليها السكان في صيد السمك تبنى من أخشاب قوية لذا يُستورد لبنائها خشب الساج.

ويصطاد السكان السمك بل يعدّ الصيد مهنتهم الرئيسية رغم ما يُحيط جزرهم من بحارٍ زاخرةٍ وأمواجٍ عنيفةٍ، ويُقدّر ما يصطاده السكان بـ ٢٥,٠٠٠ طن، والسمك الذي يصطادونه من نوع الطون، وهذا السمك من الأصناف الكبيرة، حيث تُقطّع السمكة، وتُغلى، ثم تدخّن فوق لهب نار خشب جوز الهند، وبعد جفافها يُعاد تقطيعها، ثم تُصدّر إلى سيلان، والهند حيث يوجد على هذا النوع إقبال كبير. وتعدّ صناعة تجفيف السمك هذه أهم الصناعات

في تلك البلاد، وتليها في الأهمية صناعة ليف جوز الهند الأبيض الناعم، كما تعمل النساء في صناعة الحصر من الحلفا، وتُعمل الشباك في كثير من الأماكن. ولا توجد في البلاد موارد معدنية.

يعدّ السمك غذاء السكان الرئيسي ولذا يعمل في صيد السمك نصف الرجال تقريباً، ويمثل السمك ٩٠٪ من قيمة الصادرات، وباقي الصادرات هي جوز الهند، وليفه، ولبابه المُجفّف، وعظم السلاحف، والعنبر الذي يباع في مدينة بومباي في الهند. وأما الواردات فأهمها الرز، والملح، والسكر، والملابس والنفط. ويكون معظم التجارة مع سيلان.

في العاصمة مالي وبعض الجزر الكبرى توجد طرق واسعة ومفروشة بالرمال المرجانية البيضاء اللون، والسيارات قليلة حيث لم يكن في كل جزر المالديف عام ١٣٧٣ هـ سوى ثلاث سيارات، ولكن عددها بدأ يزداد بعد ذلك التاريخ، وأصبح استعمالها اليوم أمراً عادياً. وأداة المواصلات بين الجزر هي القوارب الصغيرة، ومع الخارج الكبيرة منها، وتشبه القوارب العربية.

وفي مدينة مالي توجد محطة للإذاعة المالديفية.

وفي جزيرة (جان) في الجنوب توجد قاعدة جوية للانكليز، ويعمل في هذه القاعدة أكثر من ألفي رجل من سكان جزر المالديف.

جزر ايهان دي فولو

جزر تيلادوماتي

المحيط الهندي

مالي

جزر آري

جزر مولاكو

جزر المالديف

جزر هادوماتي

جزر سوفاديفا

جزر أدو

جزيرة جَان

- ٥ -

الحياة البشرية

يعود سكان جزر المالديف إلى السنهاليين، وهم سكان جزيرة سيلان، وينتمون أصلاً إلى المجموعة الهندية ـ الأوروبية. وقد اختلط سكان الجزر الشمالية مع سكان جنوب غربي الهند، وحصل التزاوج بينهما على نطاقٍ واسع، والأمر نفسه قد تمّ بين سكان الجزر الوسطى والعرب القادمين من الجزيرة العربية ومع الزنوج الوافدين من شرقي إفريقية وخاصة من زنجبار. أما سكان الجزر الجنوبية فكان اختلاطهم قليلاً حتى مع سكان بقية الجزر، لذلك فهم يشبهون السنهاليين.

ويتكلّم السكان لغة المالديف وهي تشبه السنهالية القديمة (الإيلو)، ويعرف الكثير منهم اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، ويتعلّمونها في الكتاتيب التي توجد في كل مسجدٍ تقريباً. وإلى جانب هاتين اللغتين توجد اللغة الانكليزية، ولغة (الأردو) وهي لغة المسلمين في بلاد الهند. وقد أصبح التعليم إجبارياً منذ عام ١٣٦٨ هـ.

- ٦ -

تاريخ الجزر

حكمت الصين هذه الجزر في القديم، ولكنها فيما بعد كانت تتبع إمارات غربي الهند، وتدفع أتاوةً سنويةً. وكانت البوذية هي ديانة السكان.

وصل الإسلام إلى البلاد حوالي عام ١٨٩ هـ (٨٠٤ م) عن طريق التجار الذين كانوا يفدون إلى تلك الجزر سواء الذين يأتون من غربي الهند إليها أم الذين يقدمون ببضائعهم إلى الجزر الوسطى خاصةً من جنوبي الجزيرة العربية وشرقي إفريقية.

وبدأ الدعاة يُيمّمون شطرتلك الجزر، ولعلّ من الذين كان لهم أثر محمود الشيخ حافظ بن بركات البربري المغربي[١]، فقد استطاع هذا الداعية أن يُؤثّر على ملك تلك الجزر، وأن يُحوّله إلى الإسلام،

---

(١) هناك عدد من الدعاة المغمورين الذين كان لهم أثر كبير في نشر الاسلام، ولا نعرف عنهم شيئاً، حيث لم يرغبوا في الشهرة والظهور، وإنما كان عملهم خالصاً لوجه الله، وربما منهم هذا الداعية الشيخ حافظ.

وكان قد أمضى أحد عشر عاماً في الملك ويدين بالبوذية، كان ذلـك عام ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م)، وبعد أن أسلم السلطان اعتنق السكـان كافةً الديانة الإسلامية.

- ٧ -

وصف ابن بطوطة

وفي عام ٧٤٤ هـ (١٣٤٣ م) زار الرحالة العربي ابن بطوطة تلك الجزر، وقد استقبله السكان، وفرحوا به، وعمل فيها قاضياً لأنه قدم من البلاد العربية، وهذه نظرة الشعوب الإسلامية إلى العرب لا تزال قائمةً إلى الآن[1]، نظرة احترامٍ وتقديرٍ، واعتقاداً أنهم أهل علمٍ وفقهٍ، وأنهم حملة الرسالة في كل آنٍ. وقد أمضى ابن بطوطة مدة هناك، وكتب عنها ما يلي «وعزمت على السفر إلى ذيبة المهل[2]. وكنت أسمع بأخبارها. فبعد عشرة أيام من ركوبنا

(١) زار وفد عربي برئاسة رجل نصراني باكستان وذلك عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م)، وأثناء الاجتماع حانت صلاة المغرب، فقام المجتمعون، وطلبوا من رئيس الوفد العربي أن يكون الامام، بل لا يمكن أن يتقدّم عليه أحد، ولم ينقذه من إلحاحهم سوى التأكيد لهم بأنه نصراني، وقد صعب عليهم إدراك أنه نصراني وهو عربي. وقد قال بعد عودته لأصدقائه: كنت أتمنى أن أعرف الصلاة لأعمل إماماً لهم لشدة ما ألحّوا عليّ وبكل وقارٍ واحترامٍ.

(٢) ذيبة المهل: جزر المالديف: ذيبة ـ ديفا، المهل ـ المال ـ المحل.

البحر بقالقوط[1] وصلنا جزائر ذيبة المهل. وهذه الجزائر إحدى عجائب الدنيا، وهي نحو ألفي جزيرة، ويكون منها مائة فما دونها مجتمعات مستديرة كالحلقة، لها مدخل كالباب لا تدخل المراكب إلا منه. وإذا وصل المركب إلى إحداها فلا بد له من دليل من أهلها يسير به إلى الجزر. وهي من التقارب بحيث تظهر رؤوس النخل التي بإحداها عند الخروج من الأخرى. فإن أخطأ المركب سَمْتها لم يمكنه دخولها، وحملته الريح إلى المعبر أو سيلان. وهذه الجزائر أهلها كلهم مسلمون ذوو ديانة وصلاح. وهي منقسمة إلى أقاليم، على كل إقليم والٍ. وهذه الجزائر كلها لا زرع بها، إلّا أن في إقليم السُّوَيد منها، زرعاً ويجلب منه إلى المهَل. وإنما أكل أهلها سمك يسمون (قُلْب الماس) ولحمه أحمر ولا ذَفَر له، وإنما ريحه كريح لحم الانعام، وإذا اصطادوه قطعوا السمكة منه أربع قطع وطبخوه، يسيراً، ثم جعلوه في مكاتل[2] من سعف النخل، وعلّقوه للدخان. فإذا استحكم يُبْسه أكلوه. ويحمل منها إلى الهند والصين واليمن.

ومعظم أشجار هذه الجزائر النارجيل، وهو من أقواتهم مع السمك، وقد تقدم ذكره[3]. وأشجار النارجيل شأنها عجيب.

---

(١) قالقوط: مدينة جنوب غربي الهند.

(٢) مكاتل: جمع مكتل وهو الزنبيل.

(٣) تكلم ابن بطوطة عن النارجيل أثناء حديثه عن زيارته إلى شرقي إفريقية =

= وقد قال آنذاك وهو جوز الهند، وهذا الشجر من أغرب الأشجار شأناً وأعجبها أمراً. وشجره شبه شجر النخيل لا فرق بينهما إلا أن هذه تثمر جوزاً وتلك تثمر تمراً، وجوزها يشبه رأس ابن آدم، لأن فيها شبه العينين والفم، وداخلها شبه الدماغ إذا كانت خضراء، وعليها ليف يشبه الشعر، وهم يصنعون به حبالاً يخيطون بها المراكب عوضاً عن مسامير الحديد، ويصنعون منه الحبال للمراكب، والجوزة منها (وخصوصاً التي بجزائر ذيبة المهل) تكون بمقدار رأس الآدمي. ويزعمون أن حكيماً من حكماء الهند في غابر الزمان كان متصلاً بملك من الملوك ومعظماً لديه، وكان للملك وزير بينه وبين هذا الحكيم معاداة، فقال الحكيم للملك: إن رأس هذا الوزير إذا قطع ودفن تخرج منه نخلة تثمر ثمراً عظيماً يعود نفعه على أهل الهند وسواهم من أهل الدنيا، فقال له الملك: فإن لم يظهر من رأس الوزير ما ذكرته؟ قال: إن لم يظهر فاصنع برأسي كما صنعت برأسه. فأمر الملك برأس الوزير فقطع، وأخذه الحكيم وغرس نواة ثمر في دماغه وعالجها حتى صارت شجرة، وأثمرت هذا الجوز. وهذه الحكاية من الأكاذيب، ولكن ذكرناها لشهرتها عندهم. ومن خواص هذا الجوز تقوية البدن وازدياد السمن والزيادة في حمرة الوجه، ومن عجائبه: أنه يكون في ابتداء أمره أخضر، فمن قطع بالسكين قطعة من قشره وفتح رأس الجوزة شرب منها ماء في النهاية من الحلاوة والبرودة. ويتغذى به، ومنه كان غذائي أيام إقامتي بجزائر ذيبة المهل مدة عام ونصف عام. وعجائبه أنه يصنع منه الزيت والحليب والعسل. فأما كيفية صناعة العسل منه فإن خدام النخل يصعدون إلى النخلة غدواً وعشياً، إذا أرادوا أخذ مائها الذي يصنعون منه العسل، فيقطعون العذق الذي يخرج منه الثمر، ويتركون =

وتثمر النخلة منها اثني عشر عذقاً[1] في السنة، يخرج في كل شهر عذق. فيكون بعضها صغيراً وبعضها كبيراً، وبعضها يابساً وبعضها أخضر، هكذا أبداً. ويصنعون منها الحليب والزيت والعسل، على ما ذكرنا لك في السفر الأول، ويصنعون من عسله الحلواء، فيأكلونه مع الجوز اليابس منه. وأقمت بها سنة ونصف

= منه مقدار اصبعين، ويربطون عليه قدراً صغيرة، فيقطر فيها الماء الذي يسيل من العذق، فإذا ربطها غدوة صعد إليها عشياً ومعه قدحان من قشر الجوز المذكور، أحدهما مملوء ماء، فيصب ما اجتمع من ماء العذق في أحد القدحين، ويغسله بالماء الذي في القدح الآخر، وينجر من العذق قليلاً، ويربط عليه القدر ثانية. ثم يفعل غدوة كفعله عشياً، فإذا اجتمع له الكثير من ذلك الماء طبخه كما يطبخ ماء العنب إذا صنع منه المربى، فيصير عسلاً عظيم النفع طيباً، فيشتريه تجار الهند واليمن والصين، ويحملونه إلى بلادهم ويصنعون منه الحلواء. وأما كيفية صنع الحليب منه فإن بكل دار شبه الكرسي، تجلس فوقه المرأة، ويكون بيدها عصا في أحد طرفيها حديدة مشرفة، فيفتحون في الجوزة مقدار ما تدخل تلك الحديدة، ويجرشون ما في بطن الجوزة، وكل ما ينزل منها يجتمع في صفحة حتى لا يبقى في داخل الجوزة شيء. ثم يمرس ذلك الجريش بالماء، فيصير كلون الحليب بياضاً، ويكون طعمه كطعم الحليب ويأتدم به الناس. وأما كيفية صنع الزيت فإنهم يأخذون الجوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره فيزيلون قشره، ويقطعونه قطعاً ويجعل في الشمس، فإذا ذبل طبخوه في القدور واستخرجوا زيته، وبه يستصبحون ويأتدمون، وتجعله النساء في شعورهن، وهو عظيم النفع.

(١) العذق: وهو من التمر كالعنقود من العنب.

أخرى. ومن أشجارها الأتْرُجّ والليمون والقلقاس.

وأهل هذه الجزائر أهل صلاحٍ وديانةٍ وإيمانٍ صحيحٍ ونيّةٍ صادقةٍ. وإذا رأى الإنسان أحدهم قال له: الله ربي ومحمد نبيي. وأبدانهم ضعيفة، ولا عهد لهم بالقتال والمحاربة. ولقد أمرت مرةً بقطع يد سارقٍ بها، فغشي على جماعة منهم كانوا بالمجلس. ولا تطرقهم لصوص الهند ولا تُذعرهم. وإذا أتت أجفان العدو إلى ناحيتهم أخذوا من وجدوا من غيرهم، ولم يتعرضوا لأحدٍ منهم بسوءٍ. وإن أخذ أحد الكفار ولو ليمونة، عاقبه أمير البلاد، وضربه الضرب المبرح.

وفي كل جزيرةٍ من جزائرهم المساجد الحسنة. وأكثر عماراتهم بالخشب. وهم أهل نظافةٍ وتنزُّهٍ عن الأقذار، وأكثرهم يغتسلون مرتين في اليوم، تنظّفاً لشدّة الحرّ وكثرة العرق. ويكثرون من الأدهان العطرية كالصندلية وغيرها. ويتلطخون بالغالية[1] المجلوبة من مقديشيو[2]. ومن عاداتهم أنهم إذا صلّوا الصبح أتت كل امرأةٍ إلى زوجها أو ابنها بالكحلة، وبماء الورد ودهن الغالية، فيُكحل عينيه، ويدهن بماء الورد ودهن الغالية، فتصقل بشرته، وتزيل الشحوب عن وجهه. ولباسهم فُوَط، يشدّون الفوطة منها على

(١) الغالية: نوع من الطيب.

(٢) مقديشيو: مدينة في الصومال، وهي عاصمتها اليوم.

أوساطهم عوض السراويل، ويجعلون على ظهورهم ثياباً كالمحرمين، وبعضهم يجعل عمامةً، وبعضهم منديلاً صغيراً عوضاً عنها. وإذا لقي أحدهم القاضي أو الخطيب وضع ثوبه على كتفيه، وكشف ظهره، ومضى معه كذلك حتى يصل إلى منزله. ومن عاداتهم أنه إذا تزوج الرجل منهم ومضى إلى دار زوجته، بُسطت له ثياب القطن من باب دارها إلى باب البيت، وجُعل عليها غرفات من الودع عن يمين طريقه إلى البيت وشماله. وتكون المرأة واقفة عند باب البيت تنتظره. فإذا وصل إليها رمت على رجليه ثوباً يأخذه خدامه. وإن كانت المرأة هي التي تأتي إلى منزل الرجل بسطت داره وجعل فيها الودع، ورمت المرأة عند الوصول إليه الثوب على رجليه. وكذلك عاداتهم في السلام على السلطان عندهم، لا بدّ من ثوب يرمى عند ذلك وسنذكره. وبنيانهم بالخشب، ويجعلون سطوح البيوت مرتفعةً عن الأرض توقياً من الرطوبات، لأن أرضهم ندية.

وكيفية ذلك أنهم ينحتون حجارةً يكون طول الحجر منها ذراعين أو ثلاثة، ويجعلونها صفوفاً ويعرضون عليها خشب النارجيل، ثم يصنعون الحيطان من الخشب، ولهم صناعة عجيبة في ذلك ويبنون في (اسطوان) الدار بيتاً يسمونه (المالَم)، يجلس الرجل به مع أصحابه، ويكون له بابان أحدهما إلى جهة الاسطوان يدخل منه الناس، والآخر إلى جهة الدار، يدخل منه صاحبه. ويكون عند

هذا البيت خابية مملوءة ماءً، ولها مستقى من قشر جوز النارجيل، وله نصاب طوله ذراعان.

وجميعهم حفاة الأقدام من رفيعٍ ووضيعٍ، وأزقتهم مكنوسة نقية تظللها الأشجار، فالماشي بها كأنه في بستان. ومع ذلك لا بدّ لكل داخلٍ إلى الدار أن يغسل رجليه بالماء الذي في الخابية، ويمسحها بحصير غليظ من الليف هنالك، ثم يدخل بيته. وكذلك يفعل كل داخل إلى المسجد. ومن عاداتهم إذا قدم عليهم مركب أن تخرج إليه القوارب الصغيرة، وفيها أهل الجزيرة ومعهم التانبول وجوز النارجيل الأخضر، فيعطي الإنسان منهم من شاء من أهل المركب، ويكون نزيله، ويحمل أمتعته إلى داره كأنه بعض أقاربه. ومن أراد التزوج من القادمين عليهم تزوّج، فإن حان سفره طلق المرأة، لأنهن لا يخرجن عن بلادهن، ومن لم يتزوج فالمرأة التي ينزل بدارها تطبخ له وتخدمه، وتزوده إذا سافر، وترضى منه في مقابلة ذلك من الإحسان. وفائدة المخزن[1] ويسمونه (البندر) أن يشتري من كل سلعةٍ بالمركب حظاً بِسَوْم معلوم، سواء أكانت السلعة تساوي ذلك أم كانت تساوي أكثر منه. ويكون للبندر بيت في كل جزيرة من الخشب يجمع به الوالي جميع سلعه ويبيع ويشتري، وهم يشترون الفخار إذا جلب إليهم بالدجاج، فتباع عندهم القدر بخمس دجاجات وست.

---

(١) المخزن: هو بيت المال، وقد ورد كثيراً بهذا المعنى.

وتحمل المراكب من هذه الجزائر السمك الذي ذكرناه وجوز النارجيل والضُغوط والعمائم، وهي من القطن. ويحملون منها أواني النحاس فإنها عندهم كثيرة. ويحملون الودع ويحملون القَنْبَر وهو ليف جوز النارجيل. وهم يدبغونه ثم تغزله النساء، وتصنع منه الحبال لخياطة المراكب، وتحمل إلى الصين والهند واليمن. وهو خير من القنب وبهذه الحبال تخاط مراكب الهند واليمن، لأن ذلك البحر كثير الحجارة. فإن كان المركب مسمّراً بمسامير الحديد صدم الحجارة فانكسر، وإذا كان مخيطاً بالحبال أعطى الرطوبة فلم ينكسر.

وصرف أهل هذه الجزائر الودع، وهو حيوان يلتقطونه من البحر ويضعونه في حفر هنالك، فيذهب لحمه ويبقى عظمه أبيض، ويبيعونه من أهل بنجالة بالأُرز. وهو أيضاً صرف أهل بلاد بنجالة، ويبيعونه من أهل اليمن، فيجعلونه عوض الرمل في مراكبهم. وهذا الودع حرف السودان في بلادهم. رأيته يباع بحساب ألف ومائة وخمسين للدينار الذهبي.

ونساؤها لا يُغطّين رؤوسهن، ولا سلطانتهم تُغطّي رأسها. ويُمشطّن شعورهن، ويجمعنها إلى جهةٍ واحدةٍ، ولا يلبسن أكثرهن إلا فوطة واحدة تسترهن من السرة إلى أسفل، وسائر أجسادهن مكشوفة. وكذلك يمشين في الأسواق وغيرها. ولقد جهدت لما وليت القضاء بها أن أقطع تلك العادة وآمرهن باللباس فلم أستطع ذلك. فكنت لا أدخل إليّ منهن امرأةً في خصومة إلا متسترة الجسد. وما

عـدا ذلـك لم تكن لي قـدرة. ولبـاس بعضهن قُمُص زائـدة عـلى الفوطة، وقمصهن قصار الأكمام عراضها. وكـان لي جوارٍ كسـوتهن لباس أهل دهلي، يغطين رؤوسهن، فعابهن ذلك أكـثر من زارهن، إذ لم يتعوّدنه، وحليهن الأسـاور، تجعل المـرأة جملة منها في ذراعيهـا بحيث تمـلأ ما بـين الكوع والمـرفق. وهي من الفضـة. ولا يحمـل أساور الذهب إلا نساء السلطان وأقاربـه. ولهن الخلاخيـل وقلائـد ذهب يجعلنهـا عـلى صـدورهن. ومن عجب أفعـالهن أنهن يؤجـرن أنفسهن للخدمة بالديار، على عدد معلوم من خمسة دنانير فما دونها. وعلى مستأجرهن نفقتهن، ولا يرين ذلك عيباً. ويفعله أكثر بناتهم، فنجد في دار الانسان الغني منهن العشر والعشرين، وكـل ما تكسره من الأواني يحسب عليها قيمته. وإذا أرادت الخروج من دارٍ إلى دارٍ أعطاها أهـل الدار التي تخـرج إليها العـدد الذي هي مـرتهنة فيـه، فتـدفعه لأهـل الدار التي خـرجت منها، ويبقى عليهـا لـلآخـرين. وأكثر شغل هؤلاء المستـأجرات غـزل القنبر. والـتزوج بهذه الجـزائر سهـل لنزارة الصـداق، وحسن معـاشرة النسـاء. وأكـثر النـاس لا يسمي صـداقاً، وإنمـا تقع الشهـادة، ويعطى صـداق مثلهـا. وإذا قـدمت المراكب تـزوج أهلها النسـاء، فإذا أرادوا السفـر طلقوهن، وهن لا يخـرجن من بلادهن أبـداً. ولم أرَ في الدنيـا أحسن معاشـرةً منهن. ولا تكـل المرأة عنـدهم خدمـة زوجها إلى سـواها، بـل هي تأتيه بالطعام وترفعه من بين يديه وتغسل يده، وتأتيه بالماء للوضوء.

ومن عاداتهن ألا تأكل المرأة مع زوجها، ولا يعلم الرجل ما تأكله المرأة[1].

---

(١) هذه عادات كانت منتشرة في الجزائر قبل دخول الإسلام. فلما اعتنق السكان الاسلام لم يتحرروا منها رغم أنها مخالفة له بعيدة عن تعاليمه، حيث كان إسلامهم حديثاً، ولم يعرفوا كل شيء عنه. وبقيت هذه العادات خاصة بهذه المنطقة أو بالمفهوم الحالي قومية، والاسلام شيء والقومية شيء آخر. وبدأت بالانقراض تدريجياً تحت تأثير الاسلام، وقد زال اليوم معظمها.

- ٨ -
ذكر السبب في إسلام أهل هذه الجزائر

حدثني الثقات من أهلها كالفقيه عيسى اليمني والفقيه المعلم علي والقاضي عبد الله وجماعة سواهم، أن أهل هذه الجزائر كانوا كُفّاراً، وكان يظهر لهم في كل شهر عفريت من الجن، يأتي من ناحية البحر كأنه مركب مملوء بالقناديل. وكانت عادتهم إذا رأوه أن يأخذوا جاريةً بكراً فيزينوها، ويدخلوها (بُدخانة) وهي بيت الأصنام، وكان مبنياً على ضفة البحر، وله طاق ينظر إليه منه، ويتركوها هناك ليلة، ثم يأتون عند الصباح فيجدونها ميتة. ولا يزالون في كل شهرٍ يقترعون بينهم، فمن أصابته القرعة أعطى بنته. ثم إنه قدم عليهم مغربي يسمى بأبي البركات البربري، وكان حافظاً للقرآن العظيم. فنزل بدار عجوز منهم بجزيرة المهل، فدخل عليها يوماً وقد جمعت أهلها وهن يبكين كأنهن في مأتم، فاستفهمهن عن شأنهن، فلم يفهمنه. فأتي بترجمان فأخبره أن العجوز كانت القرعة عليها، وليس لها إلا بنت واحدة يقتلها العفريت. فقال أبو بركات: أنا أتوجه عوضاً عن بنتك بالليل. وكان لا لحية له. فاحتملوه تلك الليلة وأدخلوه (بدخانة) وهو متوضيء، وأقام يتلو القرآن، ثم ظهر له

العفريت من الطاق فداوم التلاوة. فلما كان منه بحيث يسمع القراءة غاص في البحر، وأصبح المغربي وهو يتلو على حاله. فجاءت العجوز وأهلها وأهل الجزيرة، ليستخرجوا البنت على عاداتهم فيحرقوها، فوجدوا المغربي يتلو، فمضوا به على ملكهم، وأعلموه بخبرهم، فعجب منه. وعرض المغربي عليه الإسلام ورغبه فيه. فقال له: أقم عندنا إلى الشهر الآخر، فإن فعلت كفعلك ونجوت من العفريت أسلمت. فأقام عندهم، وشرح الله صدر الملك للإسلام فأسلم قبل تمام الشهر، وأسلم أهله وأولاده وأهل دولته. ثم حمل المغربي لما دخل الشهر إلى (بدخانة) ، ولم يأت العفريت، فجعل يتلو حتى الصباح. وجاء السلطان والناس معه فوجدوه على حاله من التلاوة، فكسروا الأصنام وهدموا بدخانة. وأسلم أهل الجزيرة، وبعثوا إلى سائر الجزائر فأسلم أهلها. وأقام المغربي عندهم معظماً، وتمذهبوا بمذهبه، مذهب الإمام مالك رضي الله عنه[1]. وهم إلى هذا العهد يعظمون المغاربة بسببه. وبنى مسجداً معروفاً باسمه. وقرأت على مقصورة الجامع منقوشاً في الخشب: أسلم السلطان أحمد شنورازة على يد أبي البركات البربري المغربي. وجعل ذلك السلطان ثلث مجابي الجزائر

(١) السكان اليوم جميعهم على مذهب الإمام الشافعي، إذ أدخله على البلاد الفقيه تاج الدين المحلي المتوفى عام ٩٩٠ هـ.

صدقةً على أبناء السبيل، إذ كان إسلامه بسببهم[1].

(١) قصة العفريت باطلة الأصل، وموضوع الفتاة كانت تنتشر في كثير من البلاد بأشكال مختلفة، وتذكر هذه الحادثة بالفتاة التي كان المصريون يلقونها في النيل حتى يكون الفيضان، ولم ينقذهم منها إلا الاسلام، كما لم ينقذ أهل جزائر المالديف مما كانوا عليه إلا الاسلام. وهناك عادات سيئة وخرافات كثيرة منتشرة لا يبطلها إلا الاسلام. وقد كان الشيخ أبو البركات مدركاً لحقيقة الأمر فلم يقل لهم هذه خرافة، لقناعتهم بأنها حقيقة لطول عهدهم بها، بل أقنعهم ببطلانها إذ أقام مكان الفتاة.

وأما الرجال الذين رووا الأسطورة لابن بطوطة فقد رووها حسب قناعة السكان.

- ٩ -
ذكر سلطانة هذه الجزائر

ومن عجائبها أن سلطانتها امرأة[١]، وهي خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر بن السلطان صلاح الدين صالح البنغالي. وكان الملك لجدها ثم لأبيها. فلما مات أبوها وُلِيَ أخوها شهاب الدين، وهو صغير السن، فتزوج الوزير عبد الله بن محمد الحضرمي أمه وغلب عليه. وهو الذي تزوج أيضاً هذه السلطانة خديجة[٢]، بعد وفاة زوجها الوزير جمال الدين، كما سنذكره. فلما بلغ شهاب الدين مبلغ الرجال، أخرج ربيبه الوزير عبد الله ونفاه إلى جزائر السويد، واستقل بالملك واستوزر أحد مواليه، ثم عزله بعد ثلاثة أعوام ونفاه إلى السويد. وكان يذكر عن السلطان شهاب الدين هذا (أمور شائنة)، فخلعوه لذلك ونفوه، وبعثوا من قتله. ولم يكن بقي من بيت الملك إلا أخواته: خديجة الكبرى ومريم وفاطمة. فقدموا خديجة سلطانة، وكانت متزوجة بخطيبهم جمال الدين، فصار وزيراً

(١) لا يصح أن تتسلم المرأة هذا المنصب.
(٢) شهاب الدين ليس شقيقاً للسلطانة خديجة.

وغالباً على الأمر، وقدم ولده محمداً للخطابة عوضاً عنه، ولكن الأوامر إنما تنفذ باسم خديجة.

وهم يكتبون الأوامر في سعف النخل بحديدة معوجة شبه السكين. ولا يكتبون في الكاغد إلا المصاحف وكتب العلم. ويذكرها الخطيب يوم الجمعة وغيره. فيقول: اللهم انصر أَمَتَك التي اخترتها على علم على العالمين، وجعلتها رحمة للمسلمين كافة، ألا وهي السلطانة خديجة بنت السلطان جلال الدين بن السلطان صلاح الدين. ومن عاداتهم إذا قدم الغريب عليهم، ومضى إلى (المشور)، وهم يسمونه الدار، انه يستصحب معه ثوبين، فيخدم لجهة هذه السلطانة ويرمي بأحدهما ثم يخدم لوزيرها، وهو زوجها جمال الدين ويرمي بالثاني. وعسكرها نحو ألف إنسان من الغرباء، وبعضهم بلديون. ويأتون كل يوم الدار فيخدمون وينصرفون ومرتبهم الأرز يعطاهم من البندر في كل شهر. فإذا تمّ الشهر أتوا الدار وخدموا، وقالوا للوزير: بلغ عنا الخدمة، واعلم بأنا أتينا نطلب مرتبنا، فيؤمر لهم به عند ذلك. ويأتي أيضاً إلى الدار كل يوم القاضي والوزراء، فيخدمون، ويبلغ خدمتهم الفتيان وينصرفون[1].

كما يتكلم ابن بطوطة في رحلته عن حضوره العيد، وزواجه، وعمله كقاضي، وإحسانهم إليه، وتنقله بين الجزائر العديدة ثم انتقاله من الجزائر.

---

(١) رحلة ابن بطوطة.

- ١٠ -

التطور السياسي

في هذا الوقت كانت الحروب الصليبية قد انتهت في المشرق وخرج الصليبيون نهائياً من بلاد الشام ومصر مدحورين، ولكنهم إن كانوا قد خرجوا من المشرق إلا أنهم اتجهوا نحو المغرب، ورموا بثقلهم كله وراء الاسبان والبرتغال في بلاد الأندلس، وقد استطاعوا هناك أن يحرزوا النصر على المسلمين، وأن يستولوا على الأندلس عام ٨٩٨ هـ (١٤٩٢ م) وأن يخرجوا المسلمين منها بل وأن يلاحقوهم في بلاد المغرب. واستمر تقدم البرتغاليين في المحيط نحو الجنوب حتى وصلوا إلى أقصى قارة إفريقية عام ٩٠٣ هـ (١٤٩٧ م)، ثم وصلوا إلى الساحل الشرقي من إفريقية فانفتح أمامهم المحيط الهندي ذلك المحيط المسلم! وأخيراً وصلوا إلى الهند بعد أن دلهم على الطريق البحار العربي المشهور ابن ماجد، الذين التقوا به في مدينة مالندي[١].

---

(١) مالندي: مدينة على ساحل إفريقية الشرقي، وتقع اليوم في دولة كينيا، في منتصف ساحلها تقريباً، وشمال مدينة مومباسا.

عرف البرتغاليون جزر المالديف عام ٩١٣ هـ (١٥٠٧ م)، وأغاروا عليها عام ٩٦١ هـ (١٥٥٣ م) واتخذوا منها قاعدة بعد أن احتلّوها. وكانت ترتبط بمستعمرة «غوا»[1] في غربي الهند أثناء السيطرة البرتغالية. وزال الحكم البرتغالي عن هذه الجزائر عام ٩٨١ هـ (١٥٧٣ م) كما زال عن كثير من المناطق التي سيطر عليها بسبب قلة عدد البرتغاليين أولاً، وللسياسة التي اتبعتها دولتهم في امتصاص دماء الشعوب التي سيطروا عليها ثانياً. كما أنهم كانوا يكتفون باحتلال مراكز لهم على الساحل لتأمين سيطرتهم وضمان أخذ خيرات البلاد، وأخيراً زالت دولتهم باحتلال اسبانيا لهم مما قضى على امبراطوريتهم التي أسسوها، كما أن ظهور منافسين آخرين من المستعمرين كان له دور كبير. وفي كل هذه المدة من الحكم البرتغالي كانت الجزر تدفع أتاوة سنوية لمستعمرة (غوا).

سيطر الهولنديون في القرن الحادي عشر الهجري على جزيرة سيلان، وحلّوا محلّ البرتغاليين، فعقدوا معاهدةً مع سلطان المالديف، وأصبحت الأتاوة تدفع إلى حكام سيلان من الهولنديين إذ كانت الجزر تحت حمايتهم.

ضعف الهولنديون، وخرجت كثير من المناطق من قبضتهم، وبدأت تستقلّ عنهم، ومن هذه البلاد جزر المالديف، ولكن جاءتها

---

(١) غوا: مدينة على ساحل غرب الهند، في منتصفه جنوب بومباي، وهي أول مكان حط فيه البرتغاليون، وأسسوا فيه مستعمرة لهم.

غزوة من الملاباريين سكان ساحل غربي الهند فأخضعوها لحكمهم عام ١١٦٦ هـ (١٧٥٢ م)، ولكن حكمهم لم يدم أكثر من سبع سنوات حيث خرجوا منها، وعاد إليها استقلالها.

حلّ الانكليز محل الهولنديين في سيلان، فكانوا على مقربة من هذه الجزائر، فاغتنموا فرصة وجود بعض القلاقل فيها عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م)، فتدخلوا في الأمر، وفرضوا على السلطان معاهدة اعترف فيها بسيادة بريطانيا، وتعهد بعدم الدخول في مفاوضات أو معاهدات مع أي قطر أجنبي إلا عن طريق حاكم سيلان الذي كان بريطانياً. كما وافقت الحكومة البريطانية على حماية هذه الجزر من أي اعتداءٍ خارجيٍ، وأنها لن تتدخّل في شؤون الجزر الداخلية.

أقامت الحكومة البريطانية قاعدةً جويةً أثناء الحرب العالمية الثانية في جزيرة (جان). وبعد انتهاء الحرب حصلت جزر المالديف على الاستقلال الذاتي، إذ استقلت جزيرة سيلان التي كانت الجزر ترتبط بها وذلك في عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٨ م)، وعندها عقد اتفاق جديد بين الحكومة البريطانية وجزر المالديف ظلّت بموجبه الجزر تحت الحماية الانكليزية، وتعهدت انكلترا بتسيير الشؤون الخارجية وعدم التدخل بالشؤون الداخلية للجزر، كما أعطيت تسهيلات للقوات الانكليزية من أجل الدفاع عن الجزر أو رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث). ثم جُدّد الاتفاق عام ١٣٧٣ هـ

(١٩٥٣ م).

أعلنت الجمهورية عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) بعد أن ألغيت السلطنة في العام نفسه، وانتخب المرحوم الأمير محمد أمين ديدي أول رئيسٍ للجمهورية. لكن الجمعية الوطنية صوتت إلى جانب إعادة السلطنة، وأعيدت السلطنة، ولم ينصرم العام بعد. ونصب الأمير محمد فريد ديدي سلطاناً على جزر المالديف، وهو ابن عم رئيس الجمهورية محمد أمين ديدي. وكان رئيس الوزراء ابراهيم ناصر.

حدثت معارضة شديدة من جموع المسلمين بسبب الاتفاق الذي وقع عام ١٣٧٦ هـ إذ يقضي بالسماح لبريطانيا بإعادة بناء قاعدتها الجوية في جزيرة (جان) في أقصى مجموعة الجزر الجنوبية التي هي مجموعة «أدو» غير أن البريطانيين قد حرّضوا سكان الجنوب على إعلان استقلالهم عن حكومة جزر المالديف المركزية وذلك عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م)، كما قامت ثورة في الجزر الجنوبية في العام التالي لكن قوات الحكومة استطاعت القضاء على حركة التمرد هذه.

حصلت جزر المالديف على الاستقلال التام عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م)، ولكنه سمح لبريطانيا بتجديد قاعدتها الجوية في جزيرة (جان). ودخلت هذه الجزائر الأمم المتحدة في العام نفسه. وبعد ثلاثة أعوام ألغيت السلطنة، وأعلنت الجمهورية، وانتخب ابراهيم

ناصر رئيساً للجمهورية، وقد كان من قبل رئيساً للوزراء. وانتخب بعده عبد القيوم، وأعيد انتخابه للمرة الثالثة على التوالي عام ١٤٠٩ هـ.

تُقسم البلاد إلى ثمانية عشر قسماً إدارياً على رأس كل قسم محافظ.

* * *

ـ ١١ ـ

الخاتمة

المالديف دولة صغيرة قامت واحتلّت مكانها في الأمم المتحدة، فما هو موقفنا منها؟. إما أن نعدّها دولةً صغيرةً، ضعيفة الاقتصاد، لا حاجة لنا بها، ولا هي ذات شأن نستفيد منها، فلا فائدة من التبادل السياسي بيننا وبينها، ويكفي الاعتراف بها كدولةٍ قائمةٍ. وإما أن نقول: إنها دولة مسلمة تنظر إلى البلدان العربية كمثل أعلى، وكمصدر للعطاء، تقف بجانبنا، لذا يجب علينا أن نمدّ لها يد العون وندرسها لنتعرف على أوضاع إخوتنا هناك، ننتصر لهم ويُؤيّدوننا، نُقدّم لهم ما يحتاجون، وهم ـ بالأصل ـ يُساعدوننا. ومن واجب الاخوة أن يتعرّف بعضهم على بعض، وأن يتعاونوا على السراء والضراء، فيجب أن يكون التبادل السياسي بيننا على أعلى المستويات. وهل يتخلّى المرء عن أخيه عندما يكون عاجزاً، ويتركه عندما يكون قاصراً، أم هو مسؤول عنه في كلا الحالتين؟

الواجب يتطلّب منا أن نسلك السبيل الثاني، ولكن الواقع أننا نسير في الطريق الأول، إذ أننا لا نزال نسير في طريق التقوقع ضمن

أطر العصبية القومية المغلقة، وننظر ضمن ساحة ضيقة من الرؤية. إننا أصبحنا اليوم نتعاون على أساس تبادل المنافع لا على أساس الأخوة، فالدولة الصغيرة مهملة والشعب الفقير لا ينظر إليه ولو كانت أقرب الأواصر تشدّنا إليه وأمتن الوشائج تدفعنا نحوه، وهل أكثر من العقيدة قربى!! لقد تركنا تعاليم إسلامنا وانطلقنا وراء المادة ولكننا لم نحصل عليها، وتركنا العقيدة وابتعدنا عنها وبذا خسرنا الدنيا والآخرة وذلك وهو الخسران المبين ـ والعياذ بالله ـ هزمنا في معاركنا لأننا لم نتخذ الاسلام سبيلنا ونحن أمة أعزنا الله بالاسلام ومن ابتغى العزة بغيره أذلّه الله. ولقد أذلنا الله إذ سلط علينا شذاذ الأرض ينتهبون أرضنا، وينتهكون أعراضنا، ويدنسون مقدساتنا، وأصبحنا بين الأمم أذلاء وكأننا لسنا أهلاً للحياة إذ لا نستطيع أن ندافع عن حقوقنا.

ومن جانب آخر إذا لم نسرع نحن لأمثال هذه الدولة وأمثال هؤلاء الأخوة نمدّ لهم يد العون ونقدم لهم المساعدة، فإن العدو سيسعى إلى ذلك، وسيحصل على نتيجة لجهل إخواننا أولاً ولإعراضنا عنهم وعن إعطائهم ثانياً وللأوضاع المادية التي يُعانونها والتي خلّفها لهم الاستعمار لامكانية الاحتفاظ بمركزه ثالثاً. ولقد لجأ العدو إلى هذه الطريقة في إفريقية فما استقلت دولة إلا وأسرع يعترف بها ويُقدّم لها المساعدات والخبرات مُستغلاً إعراضنا، ولم تمض مدة حتى وجدنا عدداً من الدول الافريقية تسير في فلكه،

وتُقيم معه العلاقات السياسية والاقتصادية، ودخلنا الساحة متأخرين، وقدمنا المساعدات، وأعطينا الحقائق، وعقدنا اللقاءات وما هي إلا مدة حتى بدأت هذه الدول الافريقية تدير ظهر المجن لليهود، وتقطع علاقاتها معهم، وتبدأ مرحلة جديدة من التعاون مع العرب ونبذ اليهود ومقاطعتهم.

والآن يجب علينا ألا نترك المجال لليهود ليقوموا في آسيا والمحيط الهندي بالدور نفسه الذي لعبوه في إفريقية. علينا أن نقيم العلاقات السياسية مع هذه الدولة وأمثالها، ونمدها بكل ما تحتاج إليه، وإن عند دولنا القدرة الكافية لذلك رغم الفقر الظاهري عند بعضها. والواقع فإن عدداً قليلاً من الدول الاسلامية التي تُقيم علاقات سياسية مع المالديف ـ وهذا خطأ بيِّن ـ على اعتبار أنها دولة صغيرة.

إن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله[1].

---

(١) هذا مقطع من حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله اخواناً. المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله. التقوى هاهنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» رواه مسلم.

فإذا أصاب المسلم أمر اهتزّت لـه قلوب إخوانـه في كل بقعـةٍ، وعن النعـمان بن بشير رضي الله عنهـما قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» متفق عليه.

اللهم اهدنا صراطك المستقيم، ويسّر لنا أمورنا، واجعل أعمالنا خالصة لـك، وتقبّلها منـا، وتب علينا إنـك أنت التواب الـرحيم. والحمد لله رب العالمين.



الفهرس

مواطن الشعوب الإسلامية

صدر منها:

أ ــ في افريقية

١ ــ غينيا
٢ ــ نيجيريا
٣ ــ الصومال
٤ ــ موريتانيا
٥ ــ ارتيريا والحبشة
٦ ــ تشاد
٧ ــ تنزانيا
٨ ــ السنغال
٩ ــ أوغندة
١٠ ــ ليبيا
١١ ــ السودان
١٢ ــ جزائر القمر
١٣ ــ المسلمون في بورندي
١٤ ــ مالي
١٥ ــ سيراليون

ب ــ في آسيا

١ ــ تركستان الغربية
٢ ــ تركستان الشرقية
٣ ــ قفقاسيا
٤ ــ باكستان
٥ ــ اندونيسيا
٦ ــ اتحاد ماليزيا
٧ ــ فطاني
٨ ــ المسلمون في قبرص
٩ ــ المسلمون في الفيليبين
١٠ ــ جزر المالديف
١١ ــ أفغانستان
١٢ ــ تركيا
١٣ ــ إيران
١٤ ــ شبه جزيرة العرب
ــ عسير
ــ نجد
ــ الحجاز
ــ البحرين ــ الاحساء
ــ الكويت وقطر
١٥ ــ المسلمون في الهند الصينية
١٦ ــ خراسان